معول الزمن الآتي
يسرى الأيوبي

أحب معول منشارة من النظرة الأولى لأن لها أسناناً منتظمـة مزكزكـة حادة. ولقد توله بها حين رآها ذات يوم آخذة في قضم جذع شجرة مسنة نخـرة، وقال لنفسه:

- هذه رفيقة حياتي، إنها تفهمني، إنها تسمع شكواي، إنها تكدح مثلي، إنها تعشق الزمن الآتي.

كانـت الغابة صاخبة بأصوات الفؤوس تنقض على جذوع الشجر الفارع، والتمعت منشارة حادة النصل تنشر الخشب وتعده للنقل عبر النهر. وجلس المعول يرقبها ذاهبة آيبة لاتكل من العمل وقال في نفسه:

- الحبيبة الصغيرة، ليس لها وقت للراحة، ليس لها وقت للحلم.. كم أشتهي أن نجلس معاً ونتسامر، أحدثها عن نضال عشيرتي ألوف السنين.. كم شقت مـن أرض وكم عبدت من طريق.. ومع ذلك تعيش في شظف وترضى بالقليل.. لماذا لا يقدر أحد النضال الصامت اليومي؟ لماذا كتب التاريخ حافلة بقصص الـسيوف المرصعة النبيلة، والأرض الرطبة بالدماء، ولا تفخر بالمعاول الكادحة التي تترك الأرض جناناً؟

كانت للمعول أوقات فراغ يتأمل فيها ماضيه وحاضره، فعملـه موسـمي، وأوقات راحته طويلة، وكان يتلهف على انقضاء النهار ومجيء الليل إذ فيه وحده يستطيع أن يسمع صوت منشارته العزيزة التي تقترب منه برقة، وتميل برأسـها على كتفيه العريضتين وتحدثه قليلاً عن أحداث يومها، وكيف كانت يد الحطـاب قاسية عليها، وكيف أنها أوشكت أن تفقد سناً من أسـنانها، ولا تلبـث أن يغلبهـا النعاس فتنام.. كانت هادئة لاتعرف النقمة، ولا تتأسى لحالها، ولا تتحدث بمرارة، ولا تغبط الآخرين على حظوظهم، وعندما ينفجرالمعول غاضباً تقول له مهدئـة، وابتسامة فمها الرحب تكشف عن كل أسنانها النضيدة اللامعة:

- إن من يستحق الاحترام هو من يعمل ويكسب عيشه بعمله.. الجـرذان الكبيرة تقرض لنفسها فقط، وتسرق غلال غيرها.. أما نحن فاننا نعمـل لنجعـل الحياة أكثر سعادة وأحفل بالجمال..

ولكن المعول كان من الشخصيات التي تفتح عينيها جيـداً لكـل الـشؤون الكبيرة منها والعادية اليومية.. حقيقة أنه يدفن رأسه أكثر الأوقـات فـي رحـم الأرض، ويجالد في تفتيت التربة حتى تكل ذراعاه المفتولتا العضلات، وخصوصاً في أيام الخريف، ولكنه كان أيضاً يرفع رأسه للشمس، ويطمح أن تكـون الحيـاة أكبر وأوسع، وأشد خصباً وأفوح عطراً.. وما كان يحتمل تلك الجـرذان الكبيـرة التي تسعى الى البيادر موجات إثر موجات لتسرق الغلال، فهي لم تـشارك فـي الحرث وتهوية التربة كعشيرة المعاول، ولا في تذرية الحب كعشيرة المذاري، ولا في الحصاد كعشيرة المناجل من أبناء عمومة محبوبته الصغيرة.

وذات يوم كان في هم كبير، يلعن الجرذان التي تنتهك كل حرمة، وتتـرك الأرض خراباً، واذا به يسمع من بعيد صوت طبل ومزمار. وأخذ النغم يقتـرب، ولم تلبث أن مرت به كوكبة من المعاول تسيرعلى أقدامها الخشبية الوحيدة بنظام وانتظام على نغم الموسيقى، فملأ المشهد قلبه بهجة وفخـراً.. كانـت رؤوسـها المسطحة وأذرعها الممتدة ذات الشفرات الحادة تلتمع تحت أشعة الشمس فتـبهج العين.. وكانت تغني مرحة على الطريق الرحب.. انتفض المعول يحييها وعينـاه غارقتان بالدموع.. لقد سلب عقله بمشهدها، ماذا تحمل معها هذه الكوكبة؟ فـرح المستقبل؟ كسر قانون الجرذان؟ لم يتوقف ليتأكد من أي شيء .. انها قوة وكفى.. ألهبت قلبه، وأحس بقوة مغناطيسية تجذبه اليها، هي ردة الفعل على القهر الـذي عاناه، إنه يحمل وسماً في ساقه من جرذ خبيث غافله وقضم منها قضمة.. كـان جرذا جائعاً نهماً لم تترك له سياط الجباة سبيلاً الى الحب، ولا الجـرذان الكبـار نثارات البقايا.. وكان ذلك بعد موسم الحصاد.. وفي الفصل الذي توشك فيـه أن تكثر أعماله.. و تمر به تلك الكوكبة من المعاول الشامخة الرؤوس تسير بانتظـام الى هدف لايدري كنهه، ولكن يحدس فيه خيره، فلماذا لاينضم الى هذا المجهـول الذي يحمل الأمل؟ ماعاد بحاجة لمن يفتح له بخته، أو يفسر له أحلامه، وما عـاد بحاجة لشراء ورقة يانصيب آملاً أن يتخلى عنه نحسه.. إنه يرى مستقبله في هذا المجال واضحاً مستنيراً.. ولو أن طيفاً من الخوف مر بذهنه من المخاطر التـي تتعرض لها حياته من جراء مهنته التي عزم أن يتخذها، فإنه يقول :

- الأعمار بيد الله، والكل أصبح اليوم يتعرض للخطر حتى الأطفال فـي حجور أمهاتهم.

وقبل أن يمضي الى موعده مع مصيره قرر أن يتزوج ويبني أسرة. وفـي تلك الليلة قال لحبيبته المنشارة:

- لقد قبلوني في صفوف المعاول المنتظمة بالرغم من اعتوار ساقي، انهم رأوا أنني أعوض عن قوة ساقي بحماسي، فهل ترغبين بي زوجاً؟

وضحكت المنشارة حتى بان آخر سن في فكها المتلألئ المنتظم:

- أيها الأحمق، ألا ترى أنني أنتظر منك هذه البادرة منذ أمد بعيد طويل؟

وتزوج المعول المنشارة، وأنجبا معاول ومنشارات تعـشق كلهـا الـزمن الآتي.. وكانوا في البداية كثيري التواضع فأصبحوا موضع الحب والاحترام..

سرعان ما أدرك معولنا أن نجمه لن يسطع في كوكبة المعـاول، فـساقه العرجاء كانت تمنعه من الارتقاء في محيط يتطلب من أفراده بذل جهـد عظـيم للتوازن والسير على ساق واحدة. لكنه لم يقصر يوماً في خدمة جماعته، وبذل في سبيلها كل ما أوتي من نشاط وحماسة وذكاء فطري. وكافأه القدر علـى صـبره وتفانيه وإخلاصه بأبنائه الكثر الذين أرسلهم واحداً إثر الآخر إلى كليـة المعـاول المنتظمة. ولم يلبثوا أن تخرجوا وأخذوا يرتقون بإصرار وسرعة وصاروا فرحـا لقاب والدهم الطموح.

لم تبتئس كوكبة المعاول لأن أطرافها خـشبية وجـذوعها فولاذيـة غيـر مستوردة، وأنها تسير على ساق واحدة. ولم تنس أن لها هدفاً، هو الهدم من أجـل

البناء، من أجل الزمن الآتي الذي بنت له تمثالاً وعقدت عليه الآمـال، وأصـبح مصدر إلهامها. فلا يكتب أحد منها رسالة إلا ويصدرها بهذه الجملـة الـشعائرية "باسم الزمن الآتي"، ولم يتخرج أحد من كلية المعاول المنتظمة الا بعد أن يـنظم قصيدة غراء في تمجيد الزمن الآتي..

ومرت الأيام، ووقف معول من الجيل الثاني شامخ الرأس ناصع الجبين، لم يعرف أبداً أسرار الأرض التي نقب فيها والده وحصل منها على حكمـة جليلـة، وعرف ما فيها من كنوز وخصب ونماء.

صعد إلى المنبر وقال:

- لقد وجدت لأهدم القديم، كل مهترئ وبال، كل ماهو عقبة وعائق للتقدم.. أسمع همسات عن البناء.. هذا من عمل الأجيال اللاحقة.. أنا السابق والبناء هـو اللاحق.. أنا موت الماضي وجنين المستقبل.. أنا ساخط ثائر مدمر لأنني عاشق.. فاغفروا لي قسوتي لأنها الرحمة، واغفروا لي حقدي لأنه حـب الأصـلح.. دار الفلك ورماني، من صلب الفولاذ رماني، من اقتداره.. هذا أبي الذي أفخـر بـه، ومن رحم النار أمي ولدتني، من نقائها ووهجها، ماضياً، قاطعاً، مصقولاً، لامعاً.. وأنا اليوم جسر بين عاصمتين تتصارعان علي.. فلا تطلبوا مني المستحيل.. إنني في طريقي لوطن الزمن الآتي..

كان المعول يسير على المنصة ضارباً أرضها بقدمه الخـشبية الوحيـدة.. ولكنه لم يكن يشبه والده المتواضع، فساقه مـن الأبنـوس المرصـع بالحجـارة الكريمة، وكتفه من الذهب الخالص، وشفرته القاطعة من الماس.

كانت جماهير المعاول وعشيرة المناشير تصفق له بحماس كبيـر معجبـة بحكمته، وفصاحته ومرونته..

قال واحد منها:

- هذه عبقرية لم نشاهد لها مثيلاً من قبل.. إن العاصمتين تتنافسان لكسب رضانا.. فأي مجد هو هذا المجد لعشيرة المعاول؟

وصعد المنبر معول آخر لايقل حماساً وقال:

- كل ماله بداية له نهاية. سنّة الكون أن إيل يتبعه بعل، فـلا تعجبـوا أن الأمم لها بداية ونهاية ككل المخلوقات، تنمو وتشب وتشيخ، تحيا وتموت ثم تبعث. هناك من العشائر من تؤمن بأبدية الأشياء، نحن لانعترف بهذا، ولا نقرها عليه.. قال القصب للأرز "أنت أبدي، فأبي وجدي الى الجد الـسابع تنـاقلوا أخبـارك، وعائلات السنونو سجلت على لقاح الشجر تاريخك. فضحك من قوله المنـشار". وعلى فكرة إن عشيرة المناشير هي من أكثر العشائر ذكاء، ولهذا أنصح المعاول أن تناسبها.. لماذا هي لامعة هكذا؟ لأنها كقس الاعتراف تشهد فصول النهايات.. يبدأ خلق وينتهي خلق، ولكن النيلوفر التي لم تشاهد ولادة الأرز كيف تجزم أنـه يموت؟ هكذا يتكون وهم الخلود جهلاً بالتاريخ، وهكذا يتكون التاريخ جهلاً بمـن صنعوه. ما أكثر النبوءات وما أكثر المدعين! وما أطول الزمن وما أقصر عقـدة الوعي فيه! كل ما له بداية له نهاية، وفي مرآة عصركم نهايات كثيرة..

ولقد لقيت كلمة المعول الثاني من التصفيق والاستحسان مالقيته كلمة الأول وخصوصاً من عشيرة المناشير التي ضمنت بهذه الكلمة تزويج كل بناتها..

لن أتحدث عن كل الخطب التي ألقيت في العيد العشريني لعـشاق الـزمن الآتي.. كانت كلها رائعة إذ فيها نفحة صدق.. ولم يكن بعد قد ظهر بين المعـاول ذلك الداء الخبيث الذي عجز أمهر الأطباء عن معرفة أسبابه أو علاجه.. تـسللت جيوش الوباء الى تلك المنطقة الحساسة التي تصل بين النصال والقوائم.. كيـف حدث هذا ومتى، غير محدد بالضبط.. وتضاربت الأقوال في هذا الأمر، فمن قائل أنه قانون الوراثة، ولكن هذا القول فيه الكثير من الصاف، إنه كـلام حاقـد.. إن قانون الوراثة غير كاف كدليل، فالعيوب قد تختفي في جيل لتبرز أحياناً في غيره، وقد تتلاشى بقوة الحياة التي من منهجها تحسين النوع.. إن البداية الجيـدة كـان عليها أن تتطور لما هو أجود وأحسن.. فلماذا نشب الداء في موضع القلب، فـي تلك المادة الهلامية اللاصقة التي تصلبت وتفتتت دون أن يلاحظها أحـد فيقـاوم انحلالها في الوقت المناسب قبل أن يستشري الوباء وتكثر ضحاياه؟

قال قائل أن بوادر المرض ظهرت يوم أخذت المعاول المنتظمة تـستورد الأبنوس لصنع قوائمها، وتستورد الذهب لتسبك جـذوعها ورؤوسـها وأطرافهـا العلوية وترصع بالأحجار الكريمة المستوردة هاماتها حسب درجاتها.. فكيف إذن تميز ما بينها؟ وتساءلت العشائر الأخرى حاسدة: "أنى لها هذا؟ أتضع اليد علـى المصرف الدولي؟ أو أنها وجدت كنزاً لاينضب؟" وتساءلت: "ترى هل هذه المواد الغريبة المستجلبة قد نقلت اليها العدوى وأفقدتها مناعتها؟"..

والأقوال التي لم ينضب معينها استمرت في التعليل والتأويل: "بدأت العلـة يوم أخذت الأنصال تقطع أشجار الزيتون والأرز والجـوز وملايـين الأشـجار المثمرة، وهاجرت أسراب السنونو منها واستوطنت غابات غريبة".

وقال آخرون بلهجة الواثق: "نقطة التحول بدأت عندما نقـضت المعـاول عهودها للزمن الآتي"..

في البدء أحاطت المعاول تمثال الزمن الآتي بسياج عال من الفولاذ المشبك خوف أن يسرقه طامع أو تناله بسوء يد مخربة. غير أن هواجس المعاول تزايدت فنقلت تمثالها من مكانه في الساحة العامة إلى بناء مهيب متين كالقلعـة مغطـى بالرخام وتزين بوابته أعمدة جسام، وأوقفوا أمام مداخله حراساً وزرعـوا حولـه عيوناً. وصار الراغبون برؤية الزمن الآتي يصطفون صفاً طويلاً أمـام المبنـى ويدخلون بانتظام فيحنون هاماتهم أمام التمثال معبرين عن احترامهم وولائهم ثـم يخرجون كما دخلوا بسرعة وهدوء ليفسحوا مجالا للفوج التالي.. ولكن يبـدو أن الغرور أصاب التمثال مع مرور الأيام، وأصبح ثرثاراً مزعجاً لايكف عن توجيه النصائح، وأمست نصائحه تخدش آذان من ارتدت من المعاول وتجثم كالرصاص على ضمائرها.. كانت تطرق في البداية متظاهرة بالخجل، ثم أخذت تجادله وتفند رأيه ولا تبالي بنقده، ثم أعلنت الحرب عليه، وانتهت أخيراً بجر التمثال من على منصته وألقته في الفراغ خارج ممتلكاتها.

منذ أن ثبتت المعاول أركان عرشها ونصبت في كل ساحة وزاوية تماثيـل الزمن الآتي حتى يوم حطمتها كانت تلاحق كل من يبكي على الزمن الآتي وكـل من امتقع وجهه خجلاً من العار الذي تحولت فيه اللوحة الجميلة الى لوحة للرعب مليئة بالتشوهات. وظنت أنها أصبحت أقوى، وهي غافلة عن الداء الذي يـسري في دمها ويتوضع في شغاف القلب.. وسارت متبخترة فرحة تدق الطبول والناس ثكالى، وتقيم الولائم والحفلات التي ترقص فيها المعاول والمناشير وتطرب غايـة الطرب، وتنتصب فيها الموائد بما لذ وطاب، والناس يقفون طوابير للحصول على رغيف..

ولكن الأسئلة الخبيثة اللجوجة كانت لا تنفك تتوالد وتتكاثر فتتلقفها الـشفاه الثرثارة وتلوكها الألسن الحمقاء.. أسئلة تبدأ دائما بحرف استفهام لعين "أيـن؟".. تليه، وبالغرابة الأمر، جملة من قاموس المعاول، وكأن أحدهم يحـاول أن يـشوه عامداً هذا العمل الفكري العظيم الذي أبدعته عبقريات قل أن يجود بهـا الـزمن، ويغطيه بظلال رمادية.

أين الحلم الجميل؟ أين الحرية؟ أين الحياة التي تنفتح أمام الجميـع كأنهـا محيط؟ أين فرص التقدم التي تظلل النشء بأجنحة ملاك؟ أيـن العـالم الـذهبي والسعادة المرجوة لكل العاملين؟ أين المصانع التي تشاد والمدن التي تبنى والحقول التي تزدهر والأنعام التي تتكاثر؟ أين العلماء والشعراء والكتـاب والمـسرحيون والموسيقيون؟ أين رواد الفضاء، أين المبدعون؟..

كل معول يريد أن يلتحق بفوج المعاول المنتظمة فيبدل قائمتـه الخـشبية المحلية بالأبنوس، ورأسه وذراعيه الفولاذيين بالذهب الخالص، وكل منشارة تريد أن تحصل على أسنان ذهبية لامعة.. وفي كل يوم كان هناك اسـتعراض لفـوج معاول يكبر ويكبر، وفي كل ليلة كانت هناك مقابلة مع منشارة تريـد أن تـرى صورتها الجميلة على الشاشة الصغيرة.

أدمنت المعاول ذات الأنصال الذهبية على المشي المقلـوب المنـتظم فـي استعراض مسرحي على سيقانها الأبنوسية، وما عادت ترغب في الوضع الطبيعي بل لم تعد قادرة عليه، أن تشق باطن الأرض وتفجر البراعم الصغيرة المجنحـة للخصب الآتي.. لا أحد يرغب في مهنة متربة شاقة لا تطعم مـن جـوع. الكـل يطمح الى نصل ذهبي وقائمة من الأبنوس المرصع بالجواهر مـستوردة كلهـا، وبزوجة من عشيرة المناشير بأسنان ذهبية تدر عليه الخير الوفير.

كانت أسراب المعاول والمنشارات منتشية بظفرها، تعب الـشراب حتـى الثمالة، وما عادت تفرق بين ما هو صالح للحياة وما هو ضار بها، بل أصبح لها مقياس واحد: عدو لها كل ما يعيق متعها المشروعة والمحرمة.. وكانـت تعمـل شفراتها الحادة وأسنانها المزكزكة في الشجر المثمر، وتسكب الاسمنت فوق بوادر الزرع لتعبد الساحات للرقص والتمارين الرياضية، وكم سهرت المعاول الليـالي تدق بأقدامها الصلبة الأرض، والمنشارات تتمايس وتـصدر أسـنانها موسـيقى طروب.

كانت ذات ليلة في العراء، والقمر بدر يضيء الـساحة كالنهـار. وفجـأة تجمعت الغيوم وحجبته.. جرى ذلك بالتدريج دون أن تنتبه له، ولما وجدت نفسها في ظلام استاءت وتهامست: "لابد أن الزمن الآتي ينغّص علي فرحي؛ إنه يـنقم على سعادتي وهو محطم في العراء"..

وما لبثت أن سرت بينها الإشاعات، لايدري أحد أهي صادقة أم من بنـات خيالها.. قيل أن نثارات التمثال كانت تتجمع بجانبية القمر وهو بدر.. وقيل أنـه يحرض الغيوم كي تتكاثف وتحجبه. ولم ينتبه أبداً مروجـو الإشـاعات أن تلـك الأقوال متناقضة، دافعها النزق وسوء النية، وأن غايتها تحميل التمثال ذنوبـاً لـم يرتكبها ولا هو قادر عليها.. فمن يراه يرى كومة من الحجارة، لاشكل لها يمتـع النظر ولا روح تلهم.. ومع ذلك كان هناك من يسمع لـه وشوشـات، وأضـاف آخرون بأنه يتكلم بصوت واضح النبرات. وجاء فصل شتاء كان قاسياً، ومتى كان الشتاء رحيماً؟ هبت ريح عاصفة، وأبرقت السماء ودحرجت برداً بحجم الجـوز.. لماذا فعل الشتاء ذلك في يوم احتفال، فقرع الرؤوس المسطحة والأسنان الذهبيـة اللامعة فاضطرت للاختباء تحت سقوفها. لقد اصطكت أسنانها وانتابها ذعر أقض مضجعها، فصبت نقمتها على الزمن الآتي..

لم تشاهد بأن الشتاء ورياحه العاصفة قد قلع خياماً كثيرة وترك أصـحابها في العراء تماماً، لاسقف يحميها ولا عون ينقذها.. وفي ذلك الشتاء القاسي غرقت سفن كثيرة وسقطت طائرات، وحادت قطارات عن مساراتها وانقلبت براكبيهـا، وغرقت مدن في السيول. أما المعاول والمناشير فانها نقمت علـى الـشتاء لأنـه حرمها من متع الاحتفال.. ونقمت على الزمن الآتي، وظنـت بـه الظنـون.. إن جماعة منها تسمع هديره في العاصفة "ويل للعاتي من غضب الزمن الآتي". وما كان ما سمعته إلا شعور الإثم الرابض في مكان خفي في معدنها، الا أن الخـوف جعلها تسمع صوته في عويل الريح بل حتى في كل زفزفة بين أوراق الشجر في فصول الإزهار والإثمار.. فئة تسمعه يقول: "ويل للمرتدة كانزة الذهب والفضة"، وأخرى: "إلى أي مصير تجري المعاول والمناشير؟"..

وأصبحت تلك الأصوات الغيبية شوكة في أسرتها تجزئ نومها فتهب بـين الفينة والفينة تقلب الفكر عسى أن تصمتها، وذهبت جماعة منها وفرقـت كومـة الحجارة وذرتها في كل أنحاء الأرض، ومع ذلك كان الزمن الآتي يغلبها ويقـتحم أحلامها ويخترق آذانها، فمنذ حطمت تمثاله أصبح روحاً لاجسد له، وأصبح أقوى، وأصبح أمنع، إذ لايمكن لها أن تنزل به موتاً ثانياً. كان يخيفها ويـدمر مناعتهـا فيثير بالتالي غضبها ونقمتها.

كان هناك معول يمتهن العرافة ويفسر الأحلام. وقد زاد الإقبال عليه منـذ أخذت مخاوف المعاول والمناشير تأخذ شكل كوابيس تقض مضجعها، فتأتي اليـه ليتنبأ لها ويفسر أحلامها. وكان يعيش في منعزل، ولم ينس مهنته القديمـة وهـي الغوص في التربة وتفتيت ما صلب منها لتتنفس الأرض ويتفجر خصبها. وكانت حول منزله وهو كوخ من جذوع الأشجار، مغطـى بـالقش المجبـول بـالطين والمجفف بالشمس، حديقة تبهر العين بتنوع زهورها وأشجارها المثمرة.. لقد سمع

بوعي وحكمة ما يدور في هذا العالم الذي نبذه، وكان في البداية يرفض أن يتقاضى المال على مشورته، ولكن لم يلبث المتسولون أن كثروا على بابه، فكان يأخذ من مال المذعورين باليمين ليعطيه للمعوزين بالشمال.

ظن أن القلق والهواجس التي تعاني منها المعاول والمناشير تعود الى شعور بالذنب ثقيل يجثم فوق صدورها. وأن سببها هو المعاملة الفظة الجائرة التي ذهب ضحيتها تمثال الزمن الآتي فكان ينصح كل معول أو منشارة أن يتخلى عن أنانيته وعصبيته، ويلاطف حاله بتواضعه وسلوكه، ويتبنى الزمن الآتي..

أما ما جرى بعد ذلك فلم يكن المعول العراف مسؤولاً عنه.. نصح جماعته مخلصاً وتحدث مراراً وبحماس ودون كلل، وكان يثلج صدره أنها تصغي إليه باهتمام وتهز رؤوسها موافقة على كل كلمة ينطقها. وكلما انصرفت من حضرته فئة فرك يديه بسعادة وحدث نفسه: "سوف تعود الأمور الى نصابها، لا بد أن تعود"..

وقف معول مغرور ذات يوم خطيباً وقال: "أنا البداية والنهاية، لم يكن كون من قبلي ولن يكون من بعدي كون. أنا فضيلة الاستقرار الأبدي. أنا المصون بكل الشرائع، الممنطق بالقوانين، المدجج بالمشافر.. أنا حاد قاطع فلا تتحداني الشجر ولتحذرني، إن بينهن من يوشوشن ولا أحب وشوشتهن، وبينهن من تتآمر مع الرياح وأنا عدو لها، ومع الغيوم وأنا خصمها.. أنا جئتكم من البعيد البعيد، أنا الزمن الآتي! "..

وأخذت المعاول والمنشارات تقطع كل شجرة توشوش للريح، حتى تلك التي تناجي نفسها، وكانت تتقزز في البداية من البتر العشوائي وخصوصاً أنها لاتخرج دائما سليمة من هذه العمليات. وكثيرا ما خسرت سناً أو ثام لها نصل أو انخلع لها فص أو انكسرت قدم. ثم أخذت تقنع النفس بضرورة إعطاء العبر، ثم أصبح البتر عادة، ثم غدا متعة ولذة. لكن الداء الوبيل ما انفك يفعل فعله فيها، وكثيراً ما انقصم ظهر معول أو انفصمت أسنان منشارة من فكها وتقاعدا في زوايا البيت.

* * *

جلس ذات يوم معول عجوز قرب منشارته، هو نفسه معولنا الذي أحب المنشارة من النظرة الأولى لأنها تفهمه ولأنها تصلح أن تكون رفيقة حياته، ولأنهما معاً يعشقان الزمن الآتي.

كان حزيناً، مريضاً، موجعاً، مثلوم الشفرات، واهن القوى، وساقه المعتَورة انخلعت عنها فصوص الجواهر، وما عليها إلا الفجوات تحمل تاريخها. وكانت هي قد خسرت كل أسنانها التي طالما شعشعت في ضحكة مجلجلة صادرة من القلب العامر بحب الحياة.. أخذا يتناجيان بصوت خفيض، لماذا فشل معول الزمن الآتي وذريته في أن يثبت جسر مملكته القائم بين عاصمتين ويتوج نفسه ملكاً عليها؟ لماذا انهار الجسر سريعاً؟

ولم يعرفا جواباً. فهما من جيل قديم، وقد تخطتهما الأحداث والمتغيـرات التي هي من طبيعة الأشياء فتبلبلا.

* * *